للفتوحة لتجارة العجم وهي حسنة الموقع كثيرة البساتين الّا انّ حركتها التجاريّة دون حركة بوشهر . واهمّ من لنجه مدينة بندر عبّاس التي بلغنا اليها في اليوم التالي . وهذه المدينة كانت تدعى گمرون فلمّا اختارها الملك شاه عبّاس في اوائل القرن السابع عشر كعرضة بلاد كرمان انتسبت اليه وموقعها قريب من مضيق هرمز وفيها تباع بضائع العجم لا سيما الصمغ العربي والطنافس الغالية الثمن والشالات والانسجة العجميّة والمصاغات المختلفة ولقربها من جزيرة العرب يقبل على بضائعها عرب عُمان واليمن . واهلها نحو عشرين الفاً . ولانكلترّة بازائها جزيرتان صغيرتان اسمهما كشم ولارك ارادت ان تحصّنهما ثم اهملتهما لاحتدام حرّهما في الصيف

ومن بندر عبّاس دخلت السفينة في مضيق هرمز الذي يوصل خليج العجم ببحر عُمان . وهرمز جزيرة في شماليّ المضيق لا يزيد اليوم اهلها على ٥٠٠ وكانت قديماً كبيرةً عامرةً فترقى اليها المراكب وتنقل اليها امتعة الهند فتُرسل الى كرمان وسجستان وخراسان فاستولى عليها البرتغاليّون في القرن السادس عشر . ودخلها المرسلون اليسوعيّون وكان اوّلهم الاب غبار بَرْزه (G. Barzée) في عهد القديس فرنسيس كسفاريوس فنشر فيها الدين الكاثوليكيّ . ثمّ غلب الانكليزُ البرتغاليين في القرن السابع عشر واخربوا المدينة (لهُ بقيّة)

النار العجيبة في القبر المقدّس

نبذة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي

طلب منّا جناب صديقنا الدكتور اغناطيوس كراتشكوفسكي تزيل بيروت سابقاً ان ننقل لهُ ما كتبهُ العرب في امر النار العجيبة التي توقد كلّ سنة في القبر المقدّس يوم سبت النور على موجب الكلندار الشرقيّ القديم . فاجابةً الى سؤله ندوّن هنا شيئاً من اقوال العرب في هذا الصدد بل نشبع قليلاً في هذا الموضوع زيادةً للافادة

انها لعادةٌ تترقى الى قرون النصرانيَّة الاولى ان تُقام في بيرمون عيد الفصح وسبت الجمعة العظيمة المعروف بسبت النور رتبةٌ شاعت في كنائس الشرق والغرب تُدعى برتبة النار الجديدة. فان كل المصابيح والمشاعل في يوم جمعة الآلام تُطفأ اشارةً الى حداد البيعة المقدَّسة على عرسها الالهيّ الذي مات فداء عن ابنائها. ففي مساء ذلك السبت كان المؤمنون يجتمعون في الكنائس ليحيوا الليل في الصلاة واوَّل ما كانوا يُقدمون عليهِ أن يستوروا نارًا جديدة لم يشاؤوا ان يأخذوها من نار عاديَّة سابقة مبتذلة بالاستعمال بل كان يستورونها قدحاً بالزَّند وقد وجدوا في ذلك رمزًا مشارًا اليهِ في الاسفار المقدَّسة اذ قال السيّد المسيح انهُ الحجر الذي رذلهُ البنَّاؤون فصار رأساً لزاوية البناء الادبيّ الذي جاء ليقيمهُ في العالم لمجد ابيهِ. ومن هذا الحجر عينهِ اذ قُدح بالآلام تأتينا تلك النار الالهيَّة التي انارت العالم وطهرَّت النفوس واضرمت القلوب بمحبَّتهِ تعالى

فاذا اوقدت هذه النار باركوها وألقوا فيها البخور ثمَّ يستوقدون منها كلّ المصابيح والاسرجة الكنسيَّة بل يتبارك المؤمنون بها فينقلونها الى منازلهم. واخصّ هذه المشاعل الشمعة المعروفة بالفصحيَّة يُذكونها برتبةٍ جميلة ويوقدونها في الحفلات العموميَّة طول مدَّة الزمن الفصحي اعني اربعين يوماً رمزًا الى اقامة السيّد المسيح اربعين يوماً على الارض بعد قيامتهِ حتى اذا دخل عيد الصعود اطفأوها بعد قراءة الانجيل المخبر بارتفاع السيّد المسيح الى السماء.

ولا شكَّ انَّ تلك رتبة النار الجديدة كانت تتمّ بجفلة شائقة في كنيسة القبر المقدس التي شيَّدتها القديسة هيلانة بعد قدومها الى اورشليم وبحثها الدقيق عن الامكنة التي قدَّم فيها ابن الله ذبيحتهُ الدمويَّة لخلاص العالم. فكان المؤمنون في وقت الفصح يتواردون الى القدس الشريف ليكرموا آلام المسيح وقيامتهُ في نفس الامكنة التي تمَّت فيها تلك الاسرار المحيية وكانوا اذا رأوا النار الجديدة استبشروا بها واقتبسوا من انوارها لهم ولذويهم ولا نرى احدًا منهم يصرّح بظهور تلك النار على طريقة عجيبة

واوَّل شهادةٍ تاريخيَّة ثابتة وردت مدوَّنةً في كتب الاقدمين هي شهادة لسائح فرنسويّ يُدعى برنردوس الراهب (Bernardus Monachus) قدم من

بلاده الى الاراضي المقدّسة نحو سنة ٨٦٥ الى ٨٧٠ وقد طُبعت رحلتهُ في اصلها اللاتيني غير مرّة . اطلب مجموع الآباء اللاتينيين لمين (Migne. P. L. CXXI, 569-576 n° 10) ففي الفصل العاشر من هذه الرحلة يقول ما تعريبهُ :

« وفي السبت المقدس الذي هو يعادلون الفصح يُتلى صباحاً في كنيسة القبر المقدس القرض الالهي وفي اثنهِ يتفنّون بالكيريالیسون الى ان ينحدر الملاك فيوقد النور في المصابيح المعلّقة فوق القبر المذكور ومن نورهِ يوزّع السيّد البطريرك للاساقفة ولبقيّة الشعب لكي يستنير بهِ كل واحد وينقلهُ الى بلادهِ . وكان اسم البطريرك المذكور ثاودوسيوس وهو رجل عظيم القدر كان راهباً في ديره المبتعد عن القدس ١٥ ميلاً لمظم فضلهِ اختطفهُ النصارى مرغومًا ليقيموهُ عليهم بطريركاً »

فهذه الرواية لمؤرخ فاضل معروف بتقواهُ تبيّن انهُ لم يُرد ان يخدع مواطنيهِ وانهُ يعتبر ظهور النور يوم سبت النور في كنيسة القبر كمعجزة الهيّة . وكما لا يمكننا ان ننسب اليهِ المكر والخداع كذلك لا يجوز ان ننسب التدليس الى البطريرك الاورشليمي ثاودوسيوس الذي عرفهُ الراهب واطرأ فضائلهُ . وترجمة هذا البطريرك واردة في كتاب الشرق المسيحي للوكيان (Lequien : *Oriens Christianus*, III, 370) وذكر من اعمالهِ ما يزيد برّهُ وقداستهُ وقد ارسل الى القسطنطينيّة الكاهن اليّا فحضر هذا باسمهِ المجمع الذي قرّر حقوق التديس اغناطيوس وحرم فوطيوس الدخيل سنة ٨٦٧ وامضى اعمال المجمع كاتبهِ (ib , 372) . والمؤرخ برنردوس يذكر الاعجوبة كشيء عادي يُجري في كنيسة القبر المقدّس كل سنة (١

فهذه الشهادة يردّدها الكتبة اللاتينيون الذين سبقوا عهد الصليبيين كغليوم ماسبوري (Guilelmus Malmesburgensis : *Gesta reg. Angl.* l. IV, c. 367) ثم هلينند (Helinand : *Chron.* l. 47) ثم ألبريك (Alberic, *Pertz* SS. G. XXIII) ثم فنسان دي بوفه في كتابهِ الشهير بمرآة التاريخ (Vincent de Beauvais : *Spec. hist.* l. XXV, c. 103) ثم ريشرد نعمة الله

---

١) وقد نشر اصحاب سجلّات الشرق اللاتيني (Archives de l'Orient Latin. I, 375) رواية يونانية في نار القبر المقدس العجيبة لكاتب يُدعى نيقيطاس كتبها الى الملك الروم قسطنطين السابع المدعوّ برفيروجنيت في نيسان سنة ٩٤٧ الّا انّ ناشريها مرتابون في صحتها فلم نذكرها

(Richard de la Grâce de Dieu, cfr. *Vogüé. les Eglises de Terre S^te*, 427) سنة ١٠٢٧ ثم في رحلة اودوريك اسقف اورليان (Rad. Glaber: *Chron.* IV, c. 6) وفيها روى اوذوزيك المذكور انهُ ابتاع لكنيستهِ من بطريرك القدس القنديل الذي ظهر فيهِ النور قبل سواه. والبابا اوربانوس الثاني قد اشار الى هذه الاعجوبة في خطابهِ الذي القاهُ في كلرمون ليحضّ فيهِ النصارى على الجهاد الصليبيّ ليستولوا على الاراضي المقدّسة

اما في عهد تملُّك الصليبيين على القدس الشريف فالشواهد على ظهور النور في كنيسة القبر المقدّس متعدّدة منها شهادة موريقيوس نائب البابا بسكال الثاني اخبر انهُ حضر اعجوبة النار المقدّسة في ٢٠ نيسان سنة ١١٠١ ومنها شهادة فوشه دي شرتر نحو السنة ١١٠٢ م (Foucher de Chartre : *Gesta peregr. Francorum*, ch, XXIV) ثم دانيال الروسي سنة ١١٠٦–١١٠٧ فانَّ هذا في كتاب رحلتهِ (Daniel, Hégoumène russe : *Pélerinage*, c. 97, p. 75, éd. 1889) اخبر انهُ وضع باذن ملك اورشليم بلدوين (Baudouin) سراجهُ على قبر المسيح مع سرجة الملكيين ورهبان دير مار ساباثم قال: « فانقدت تلك السرجة الموضوعة على القبر اما سرجة الفرنج المعلّقة فوقهُ فلم تُسرَج » وقد قدّم هذا الكاتب على فصلهِ مقدّمة انتقاديّة قال فيها انهُ يُروى عن هذه النار العجائبيّة امور غريبة ليست هي صحيحة منها قولهم انَّ الروح القدس ينزل على هذه الاسرجة على صورة حمامة فيوقدها ومنها قول غيرهم بانهُ يبرق من السماء برقٌ فيسرجها. قال الخيقومان: كلّ هذه الروايات لا صحّة لها وانما تتّقد هذه الاسرجة بنعمة الله. ثمَّ يروي ما شهدهُ بالعيان كما مرَّ

فنكتفي بهذه الشواهد لكتبة الفرنج القدماء التي تثبت امر نور القبر المقدّس في يوم سبت النور. وليس بين الرواة من يرتاب في صحّتها. الّا أن يقال بانهُ وُجد بين اصحاب كنيسة القبر المقدّس اناسٌ خبثاء احتفظوا سرَّ خداعهم دون ان يبوحوا بهِ الى غيرهم تدليساً او طمعاً والله اعلم باسرار القلوب

*

فلنأتينَّ الآن بشواهد كتبة العرب الذين ذكروا هذا الامر. وما لا ريب فيهِ

انَّهُ لم يوجد بينهم احد انكر ذلك قبل القرن الحادي عشر فانَّ المؤرخين والجغرافيين الذين سبقوا ذلك العهد كابن خرداذبه والبكري وناصر خسرو لم يذكروا شيئاً من هذا

واقدم ما نعرفهُ من شواهد العرب في النار الظاهرة في كنيسة القيامة يوم سبت النور شهادة ابي الحسن عليّ المسعوديّ المتوفى سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) مؤلف مروج الذهب في كتابهِ التنبيه والاشراف المطبوع في ليدن سنة ١٨٩٣ فقال (ص ١٤٣) في هيلاني ام قسطنطين الملك:

« وبنت هيلاني بابيليا الكنيسة المعروفة بالقيامة في هذا الوقت الذي يظهر منها النار يوم السبت الكبير الذي صبحهُ الفصح »

فهذا الكلام لا يشعر بخبث او مكر او شعوذة وانَّما المؤلف يصرّح بالامر كأنَّهُ يصدّق بوقوعهِ. لكنَّ المسعودي في كتاب مروج الذهب (٣: ٤٠٥) ذكر الامر على وجه آخر فقال:

ولعلَّ منهُ وهو عشرين الاوّل عيد كنيسة القيامة (كذا) بيت المقدس وفي هذا العيد تجتمع النصارى من سائر الارض وتنزل عندهم النار من السماء فتُسرج هنالك الشمع ويجتمع فيهِ من المسلمين خلقٌ عظيم للنظر الى هذا العيد ويُقلّع فيهِ ورق الزيتون وتكون للنصارى فيهِ اقاصيص. ولهذه النار حيلة لطيفة وسرّ عظيم قد ذكرنا وجه الحيلة في ذلك في كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب

وهي رواية غريبة اذ لا نعرف احداً غير المسعودي روى انَّ ظهور النار في كنيسة القيامة كان يحدث في ٥ تشرين الاوّل لا في السبت الكبير. اما كتابهُ القضايا والتجارب فهو مفقود

والشهادة الثانية بعد المسعودي قد وردت في كتاب ابن القلانسيّ الذي عنوانهُ كتاب ذيل تاريخ دمشق وبين مؤلفهِ والمسعوديّ السابق ذكرهُ مئتا سنة بنيّف لأن وفاة ابن القلانسيّ وقعت سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٢ م) فقال في كتابهِ المطبوع في مطبعتنا (ed. Amedroz, p. 66-67) انَّ الحاكم بامر الله رأى في تاريخ سنة ٣٩٧ هـ (١٠٠٨ م) عدداً كبيراً من نصارى مصر خرجوا ليحضروا الفصح في بيعة القيامة (والمسلمون يدعونها بالقمامة تعصُّباً) قال:

فسأل الحاكم خنكين العضدي الداعي وهو بين يديهِ عن امر النصارى في قصدهم هذه البيعة

وما يتقدونهُ فيها واستوصفهُ صفتها وما يدَّعونهُ لها وكان ختكين يعرف امرها بكثرة تردده الى الشام . . . فقال : هذه بيعة تقرب من المسجد الاقصى تعظّمها النصارى افضل تعظيم وتحجُّ اليها عند فصحهم . . . فاذا حضروا يوم الفصح فيها . . . يعلّقون القناديل في بيت المذبح ويحتالون في ايصال النار اليها بدهن البلسان وآلتهِ ومن طيبتهِ حدوث النار فيهِ مع دهن الزنبق ولهُ ضياء ساطع وإزهار لامع يحتالون بحيلة يعملونها بين كل قنديل وما يليهِ حديدًا ممدودًا كهيئة الخيط متّصلًا من واحد الى آخر ويطلونهُ بدهن البلسان طليًا يخونهُ من الابصار حتى يسري الخيط الى جميع القناديل . . . ويتوصّل بعض القوّام الى ان يقرّب النار من الخيط فاذا صلّوا وحان وقت النزول فُتح باب المذبح وعندهم انَّ مهد عيسى عليهِ السلام فيهِ وانهُ عُرج بهِ الى السماء منهُ ودخلوا واشعلوا الشموع الكثيرة واجتمع في البيت من اناس الخلق الكثير ما يحمى منهُ الموضع ويتوصّل بعض القوّام الى ان يقرّب النار من الخيط فيلتهب بهِ ويشتعل بين القناديل من واحد الى واحد ويشتعل الكل ويقدّرهُ من يشاهد ذلك انَّ النار قد نزلت من السماء فاشتعلت تلك القناديل »

ثم يخبر المؤلف بامر الحاكم ان تُهدم الكنيسة قال : « فهُدمت ابنيتها وقُلعت حجرًا حجرًا . . . وشاع هذا الخبر بمصر فسُرَّ المسلمون بهِ ودعوا للحاكم دعاء كبيرًا على ما فعلهُ » . فترى من هذه الرواية ما نقلهُ ختكين العضدي للحاكم بامرهِ . الّا ان في روايتهِ ما لا يُصدَّق . فان كان الحديد ممدودًا بين القناديل مع الخيط المطلي بالبلسان فكيف لم يشاهدهُ احد من الحضور وكيف لم يظهر الخداع . وكذلك اخطأ ختكين بقولهِ « انَّ مهد عيسى في المذبح » وانَّ « عيسى عُرج بهِ منهُ الى السماء » فكفى بهذا دليلًا على انَّ روايتهُ غير ثابتة وانهُ رمى الكلام على عواهنهِ

والشاهد الثالث على الامر هو زين الدين عبد الرحيم الدمشقي الشهير بالجوبري المتوفّى نحو السنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) فعاش بعد فتح صلاح الدين للقدس وخروج الفرنج منها سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) . وللجوبري كتاب « المختار في كشف الاسرار » الذي اتّسعنا في وصفهِ في المشرق السنة ١٩٠٩ (١٢ : ١٨٦ و ٣١٦) وقد روينا عنهُ هناك (ص ١٩٣) ما ذكرهُ من « خدعة الرهبان في ايقاد النور في كنيسة القيامة » . وهذا قولهُ بالحرف عن نسختين قديمتين في مكتبتنا (ص ٥٨ و ١١٩) قال في باب « كشف اسرار الرهبان » :

« اعلم ان هؤلاء القوم اعظم ناموس لهم قنديل النور في كنيسة قمامة من بيت المقدس وهو من عمل الرهبان وقد ارتبط عليهِ جميع النصارى واساطفهم واجناسهم . وقد كان الملك المعظّم ابن الملك العادل دخل الى القمامة يوم سبت النور فقال للراهب الذي جاء : لا ابرحُ حتى ابصر

هذا النور كيف يترل . فقال لهُ الراهب : ايها اجب الى الملك هذا المال الذي يتحصّل لك من هذا الوجه او اطّلاعك عليهِ فاني ان كشفتُ سرَّهُ عدم السلطانُ هـذا المال فاتركهُ مستورًا واربح هذا المال العظيم . فلمَّا سمع السلطان ذلك فهم باطن امره فتركهُ على حالهِ . وذلك انَّ هذا القنديل هو إعظم النوابيس التي وضعها الاوائل وها انا ابيّنهُ واكشف سرَّهُ . وذلك انَّ لهُ في رأس القبَّة حقًّا من حديد متّصلًا بالسلسلة التي هو معلّق فيها وهو مُهندم في هلال القبَّة لا يطّلع عليهِ احد غير الراهب والسلسلة لها حقّ وفيهِ خلوٌ فاذا كانت ليلة سبت النور صعد الراهب الى الحقّ وجعل فيهِ مطبوخ الكبريت على مثال السفيرسكة ويجعل تحتها نارًا موقتة الى الساعة التي يريد ان يترل فيها النور ويدهن السلسلة بدهن البلسان فاذا جاء الوقت أوقدت النار نقطة المطبوخ على رزَّة السلسلة في ذلك الحقّ المهندم فاشتدَّ من تلك النقطة دهنُ البلسان وجرى مع السلسلة نازلًا الى القنديل تتعلق النار في فتيلة القنديل وتكون مستيَّة اوّلًا بدهن البلسان فتوقدها فافهم ذلك »

قُلنا ما اعظم الفرق بين هذه الرواية والرواية السابقة حتى لا تكاد تجد بينهما توافقًا البتَّة . ونتعجّب من قول الجوبري بانَّ جميع النصارى قد ارتبطوا على امر هذا القنديل ثمَّ من قولهِ بعدهُ انَّ ذاكَ الراهب وحدهُ يعرف بسرّهِ وهو لا يذكر غير قنديل واحد لا قناديل عديدة كما قال ختكين . فنشكّ اذن بصحّة روايته ومطابقتها للواقع

وها نذا آتي بشاهد رابع يظهر من كلامهِ ما هو اقرب الى الصحّة لا سيما انهُ يتكلّم كشاهد عياني يزيد به السبط بن الجوزيّ المتوفى بعد الجوبري بزمن قليل سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦م) قال في تاريخهِ مرآة الزمان ما ننقل هنا بعضهُ (راجع حاشية كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسيّ ص ٦٨) قال :

« سكنتُ في بيت المقدس عشر سنين وكنتُ ادخل الى القمامة في يوم فصحهم وغيره وبحثتُ عن اشال القناديل في يوم الاحد (كذا) عيد النور وفي وسط القمام (كذا) قبَّة فيها قبر يعتقد النصارى انَّ المسيح عليهِ السلام لمَّا صُلب دُفن فيهِ ثم ارتفع الى السماء . فاذا كان ليلة السبت في السحر دخلوا الى هذه القبَّة فنقلوا قناديلها ولم فيها طاقات مدفونة في الرخام وفي الطاقات قناديل قد اوقدوها من السحر وللقبَّة شبابيك فاذا كان وقت الظهر اجتمع اهل الدين من النصرانيَّة وجاء الاقسّاء . فدخلوا القبَّة وطاف النصارى من وقت الظهر حولها يتوقّعون نزول النور فاذا قارب غروب الشمس تقول الاقسّاء : « انَّ المسيح ساخط عليكم » فيضجّون ويبكون ويرمون على القبر الذهب والفضَّة والثياب جملة كثيرة . . . فاذا غربت الشمس اظلم المكان فيخافلها بعض الاقسّاء ويفتح طاقةً من زاوية القبة بحيث لا يراهُ احد ويوقد شمعة من بعض القناديل ويصيح : قد نزل النور ورضي المسيح . وتخرج الشمعة من بعض

الشبابيك فيضجون ضجّة عظيمة ويوقدون القوانيس ويحملون هذه النار الى محلّهم وصور وجميع بلاد الافرنج حتى رومية والجزائر وقسطنطينية وغيرها تعظيماً لها »

فهذه الرواية على رأينا اقرب الى الصدق وكأنّها حكاية حال ما يحدث كلّ سنة في القدس الشريف على يد الروم الاورثدكس والارمن الغريغوريين وهي تخالف رواية ابن القلانسي والجوبريّ كما ترى . لكنّ ابن الجوزي يردف كلامهُ برواية الخبر السابق ذكرهُ عن الملك المعظّم ابن الملك العادل فيرويهِ عن صلاح الدين نفسهِ كأنهُ جرى بين صلاح الدين وبطرك اورشليم . فالله اعلم باصدق الخبرين

ويلي ابنَ الجوزي شاهد خامس وهو زكريّاء بن محمّد القزوينيّ المتوفى ايضاً كالجوبري وابن الجوزي في القرن السابع للهجرة والثالث عشر للمسيح سنة ٦٨٢ هـ (١٢٨٣م) قال في كتابهِ آثار البلاد (ed. Wüstenfeld, p. 109) في جملة ما كتبهُ عن بيت المقدس :

« وبها (اي بيت المقدس) قمامة وهي كنيسة عظيمة للنصارى في وسط البلد لا ينضبط صفتها حسناً وعمارةً وتنسيقاً وكثرة مال . في موضع منها قنديل يزعمون انّ نوراً من السماء يترل في يوم معلوم ويشعلهُ وهذا امرٌ مشهور عندهم . حُكي انّ بعض اصحاب السلطان ذهب اليها ذلك اليوم وقال : اني اريد ان اشاهد نزول هذا النور فقال لهُ القسّ : ان مثل هذه الامور لا تخفى على امثالك . لا تُبطلْ ناموسنا فانّا نُشبه على اصحابنا لتشيّة امرنا فتجاوزْ عنهُ »

فانظر رعاك الله هذا الاختلاف بين الروايات . وكيف نسب القزوينيّ الى بعض اصحاب السلطان ما رواهُ الجوبري عن الملك المعظّم وابن الجوزي عن صلاح الدين

ولنا شاهد سادس في اواخر القرن السابع نفسهِ ألا وهو ياقوت الرومي الشهير المتوفّى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٧ م) ففي مادة « قمامة » من كتابهِ معجم البلدان (ed. Wüstenfeld, ٤ : ١٧٤) روى ما يشبه بعضهُ نصّ القزوينيّ قال :

« ولهم في موضع منها (يريد كنيسة القيامة) قنديل يزعمون ان النور يترل عليهِ من السماء في يوم معلوم فيشعلهُ . وحدّثني مَن لازمهُ وكان من اصحاب السلطان الذي لا يمكنهم منهُ حتى ينظر كيف امرهُ وطال على القسّ الذي يرسّم امرهُ (قال) فقال لي : ان لازمْتنا شيئاً آخر ذهب ناموسُنا . قلتُ : كيف . قال : لانّا نشبه على اصحابنا باشياء نعلمها لا تخفى على مثلك واشتهي ان تُعفينا وتخرج . قلتُ : لا بُدَّ ان ارى ما تصنع . فاذا كتابٌ من النيرنجيّات وجدتهُ مكتوباً فيهِ انهُ يقرّب منهُ شمعة فتتعلّق بهِ بتتهّ والناس لا يرونهُ ولا يشعرون بهِ فيعظم عندهم ويطيبون »

ولعلّ الذين اتوا بعد هؤلاء من كتبة المسلمين وذكروا نور السبت الكبير نقلوا مع بعض التصرّف عن الذين اثبتنا اقوالهم كابن العربيّ والحاج خليفة ومجير الدين الحنبليّ . ودونك رواية مجير الدين المتوفّى سنة ٩٢٧ هـ (١٥٢١ م) في كتابه الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل قال (طبعة مصر ١ : ٢٦٨) :

« ومما وقع ببيت المقدس في شهور سنة ٣٩٨ (١٠٠٨ م) ان الحاكم بامر الله ابو علي المنصور بن العزيز الفاطمي امر بتخريب كنيسة القيامة من بيت المقدس واباح للعامّة ما كان بها من اموال وامتعة وغير ذلك . وكان ذلك بسبب ما أُنهي اليه من العمل الذي تتعاطاه النصارى يوم الفصح من النار التي يحتالون بها بحيث يتوهّم الاغمار من جهلتهم انها تنزل من السماء وانها مصبوغة بدهن البلسان في خيوط الابريسم الرفاع المدهونة بالكبريت وغيره بالصنعة اللطيفة التي تروج على العظام منهم والعوام وهم الى الآن يستعملونها في القيامة ويسمّى ذلك اليوم عندهم سبت النور . . . »

وفي هذا الزمان على التقريب كان احمد بن الحريريّ صاحب منتخب الزمان في تاريخ الخلفاء والعلماء والاعيان ومن كتابه نسخة في مكتبتنا . ففي تاريخ سنة ٣٩٨ هـ ذكر هدم الحاكم بامر الله لكنيسة القيامة واشار الى قصّة خُتكين مع الخليفة الفاطميّ في صددها . لكنّه ينعت هناك ختكين « بالظالم الغشوم الفاتك السفّاك للدماء » فأضعف بذلك الثقة في قوله

فهذا ما ورد في كتب المؤرخين المسلمين في امر نور السبت الكبير . امّا اوّل النصارى الذي اشتمّ من هذا النور رائحة الخداع فهو ابن العبريّ في تاريخه المدنيّ السريانيّ الذي اختصره بعد ذلك وعرّبه . ففي ذكره لاعمال الحاكم بامر الله روى خراب كنيسة القيامة على يده ونسب الامر الى نور السبت الكبير الذي كان ينزله البعض مكرًا من سقف كنيسة القيامة الى القنديل الذي فوق القبر

وان طلب الينا القارئ ان نبدي في اقوال الكتبة رأينا اجبنا انّهُ من المحتمل بل من المرجّح انّ هذه الاعجوبة ظهرت مرّة او مرارًا في القرون الوسطى اذ لا يمكننا ان ننسب الخداع او الجهل لعلماء عقلاء يؤكّدون انهم عاينوا الامر ووصفوهُ على طريقة لا تبقي مجالًا للريب ومحلًا للغشّ

وعلى كلّ حال لا بُدّ من القول انّ هذه الاعجوبة قد بطلت منذ عدّة قرون فالتجأ اذ ذاك بعضُ ذوي الغايات الى الشعوذة اما رغبةً في زيادة حرص النصارى

على زيارة القبر المقدّس واماً طمعاً في حطام الدنيا. وكلتا الغايتين ذميمة اذ لا يجوز صنيع الشرّ لينتج من ذلك خير

وكذلك أبدينا استياءنا سنة ١٩٠٩ (في المشرق ١٢: ١٩٣-١٩٤) من تسامح ارباب الروم في التمويه على الزوّار كلّ يوم السبت الكبير اذ يقيمون رتبة النار الجديدة ويظهرونها للحضور كأنّها نار سماوية . ونقلنا هناك (ص ١٩٤) كلام السيّد وفائيل الهواويني صاحب مجلّة الكلمة حيث ينكر على زعماء طائفته ما يصنعونهُ ليثبتوا ظنّ الناس في اعجوبة لا صحّة لها وهو كلام رجل عاقل يسوؤهُ ان ينسب الغرباء الزورَ والخداع الى طائفته . وكذلك نشرنا في السنة عينها (المشرق ١٢ : ٣١٦) رسالة للخوري الياس شهوان في سلخ اذار سنة ١٨٧٦ وصف فيها تلك الخدعة كما عاينها وهو كاهن يعقوبيّ يمثل طائفتهُ مع مطراني الروم والارمن الغريغوريين في داخل القبر المقدّس . وبهذا الكفاية عن هذا النور المزبور انار الله بنور هدايتهِ جميع الضالّين

البرهان الصريح

في اثبات ألوهيّة المسيح

ردًّا على مجلّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي

و البرّات عن مجيء المسيح وتعريف شخصهِ الكريم (تابع)

وقد اثبت موسى نبوّةَ انطق بها الله ساحرًا استقدمهُ احد اعداء بني اسرائيل ليلعن شعب الله فلم يستطع الّا ان يبارك ألا وهو بلعام نطقَ بالبركة مرغوماً وبارك نسل يعقوب وتنبّأ بالمسيح الذي يخرج منهُ قائلًا (عدد ٢٤: ١٧): «يسعى كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من اسرائيل فيحطّم طرفَيْ موآب ويريح جميع بني شيث»

ولم يقم بعد موسى رجل اعظم من الملك داود بن يسّى واليهِ اوحى الله مرارًا انّ فيهِ تتمّ المواعيد التي وعد بها يعقوب ابنهُ يهوذا وكان داود من سبطهِ . فجاءهُ ناثان